الدرس الخامس: نظرية أفعال الكلام.

تمهيـــد

إن الفعل الكلامي عنصر مهم في الكثير من الأعمال التداولية، و هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، يعتمد على أفعال قولية تسعى إلى تحقيق أغراض إنجازية و غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي. وقد قام "أوستين" بتمييز صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية، ثم عرض دراسة أولية لهذه الجمل على محو هام للفلسفة و المنطق، و بعد ذلك وسّع المفهوم الذي قدمه ليشمل جميع الجمل حتى تلك التي تقبل الصدق و الكذب.

نظرية أفعال الكـــــلام

نشأت هذه النظرية على يد فيلسوف اللغة الإنجليزي جون أستين الذي يعد أباً للتدوالية ، و كان قد تأثر بفيلسوف اللغة فنجشتاين الذي يرى أن المعنى هو الاستعمال ، فألقى أستن عدداً من المحاضرات في أكسفورد مابين عامي 1952م و1954م ثم ألقى اثنتي عشرة محاضرة في هارفارد في عام 1955م ، وقد جمعت هذه المحاضرات الأخيرة في كتاب بعد وفاة أستن عام 1962م،وكان عنوانه How to doThings With Words،(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، فهو يرى أنّ وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب بل هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سيّاقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية.

تنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.، بمعنى:عندما نقول شيئا ما فإنّنا نقوم بفعل ما، شرح هذا التعريف:

- القول هو فعل لغوي :فالقول هو تصرف لغوي يُستخدم للتواصل مع الآخرين. فهو وسيلة لتبادل المعلومات والأفكار والمشاعر.
- القول له غرض معين :عندما نقول شيئا ما، فإننا نقوم بذلك لتحقيق غرض معين. فقد نرغب في نقل معلومة أو التعبير عن شعور أو إصدار حكم أو إصدار أمر أو تقديم مناشدة.
- القول يؤثر على الآخرين :فالقول يؤثر على الآخرين ويترك أثراً فيهم. فقد يغير رأيهم أو يغير سلوكهم أو يثير عواطفهم.

الدرس الخامس: نظرية أفعال الكلام.

إذن نظرية أفعال الكلام في اللسانيات التداولية تبحث في كيفية استخدام اللغة لإحداث تأثير في العالم. تنص النظرية على أن كل فعل كلامي ينتج عنه إجراء أو تأثير على العالم، سواء كان ذلك إخبار شخص ما بشيء، أو طلب شيء ما، أو تقديم وعد، أو إبداء رأي، أو التعبير عن مشاعر.

ويمكن شرح هذا التعريف بالنقاط التالية:

- **اللغة هي أداة للتأثير** :اللغة هي وسيلة للتواصل مع الآخرين و التعبير عن الأفكار والمشاعر،فالغة هي أيضًا أداة للتأثير على الآخرين. فعندما نقول شيئا ما، فإننا نأمل في أن ينتج ذلك تأثيرًا ما على المتلقي.
- **للأفعال الكلامية آثار** :لكل فعل كلامي آثاره الخاصة. فبعض الأفعال الكلامية تنقل معلومات، والبعض الآخر يطلب شيئًا، والبعض الآخر يعبر عن مشاعر. ولكل من هذه الأفعال الكلامية تأثيره الخاص على العالم.
- **السيّاق مهم :**يعتمد تأثير الفعل الكلامي على السياق الذي يتم فيه التعبير عنه. فمعنى عبارة ما قد يتغير اعتمادًا على السياق الذي يتم التعبير عنها فيه.

أمثلة على أفعال الكلام وآثارها:

- **التعبير عن فكرة" :**العلم هو النجاح." (الأثر: نقل معلومات)
- **التعبير عن شعور"** :أنا سعيد." (الأثر: التعبير عن مشاعر)
- **إصدار حكم" :**هذا الشيء جيد." (الأثر: إصدار حكم)
- **إصدار أمر"** :الزم الصمت." (الأثر: طلب شيء ما)
- **تقديم مناشدة" :**ساعدني من فضلك." (الأثر: طلب شيء ما)

ـ الأفعال الكلامية :إن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل المعلومة والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، "إن الكلام هو بدون شك نقل للمعلومات ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي." ...[1] تأسيسا على هذه الرؤية القاضية بأن اللغة تحقق بجانب نقل المعلومة وظائف أخرى لا تقل أهمية، قامت نظرية الأفعال الكلامية.

ومعنى الفعل الكلامي أنه كل ملفوظ ينهض على شكل دلالي إنجازي تأثيري[2]، ويتكون الفعل الكلامي من: -**الملفوظ** :وهو الجملة أو العبارة المنطوقة. / -**الشكل الدلالي** :وهو المعنى الذي يحمله الملفوظ.

-**القوة الإنجازية** :وهي التأثير الذي يريد المتكلم تحقيقه من خلال الملفوظ. **أما معنى العبارة** "ينهض على شكل دلالي إنجازي تأثيري" فهو أن الفعل الكلامي يعتمد على هذه العناصر الثلاثة بشكل متكامل. فالملفوظ لا يكتسب معناه الحقيقي إلا من خلال القوة الإنجازية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها. **على سبيل المثال، الجملة "أقسم أن أقول الحقيقة"** لها معنى دلالي يتمثل في التعبير عن التزام المتكلم بقول الحقيقة. ولكن هذه الجملة لا تكتسب معناها الحقيقي إلا عندما يلفظها شخص ما في موقف معين، مثل المحكمة أو الامتحان. في هذه الحالة، يصبح الفعل الكلامي هو "القيام بيمين."

أي أن هذه الأفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب[3]، والفعل الكلامي يعتمد على الموقف الذي يتم فيه القول لذلك لا يمكن دراسة الأفعال الكلامية مستقلة عن الموقف[4] اهتم التداوليون بالأفعال الكلامية فقسموها تقسيمات كثيرة أشهرها تقسيم أوستن الذي رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة جوانب:

***فعل لغوي**: **ويسمى فعل القول** :يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي سليم يؤدي معنى محدد ويعرف بالمعنى الأساسي أو الأصلي، ففعل

القول يتمثل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، لكن أوستن يسميها أفعالا، ويصنفها كالآتي:

- **الفعل الصوتي:** وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة بعينها.
- **الفعل التركيبي:** ويؤلف من مفردات طبقا لقواعد لغة معينة.
- **الفعل الدلالي:** وهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة.

<u>أمثلة عن الأفعال اللغوية:</u>

الإخبار" :الشمس مشرقة". السؤال" :ما اسمك؟" / الاستفهام" :هل تحب القراءة؟" / الأمر" :افتح الباب"./ التمني" :أتمنى لك يومًا سعيدًا". / الشكر" :شكرًا لك على الهدية".

- **فعل إنجازي ويسمى أيضا الفعل المتضمن في القول :** هو ما يؤديه الجانب اللفظي من معنى إضافي يكمن وراء المعنى الأساسي مثل: التهديد، التحذير، السخرية، الفخر وغيرها. الطلب مثال:" أرجوك، أعطني كتابًا". / العرض" :سأساعدك في تنظيف المسجد"./ التمني" :أتمنى لك يومًا سعيدًا"./ الشكر" :شكرًا لك على الهدية.

- **الفعل التأثيري ويسمى الفعل الناتج عن القول**: ويبدو في الأثر الذي يحدثه الجانب الإنجازي في المتلقي مثل: الانفعالات المختلفة وهذه الجوانب الثلاثة متصلة لا يمكن الفصل بينها وبين سياقها الذي ترد فيه[5]، ففي الجملة: (إنها ستمطر) يمكن فهم معنى الجملة الأولي الظاهر من الفعل اللفظي (ستمطر) ولكن لا يمكن فهم المعنى الإنجازي هل هو تحذير من الخروج أم هو أمر بحمل المظلة إلا من خلال السياق الذي ورد فيه الفعل اللفظي. و يتمثل في رد فعل المخاطب بالاستجابة أو الرفض.

ونلخص الفعل الكلامي في الآتي:

الفعل الكلامي الكامل= فعل القول+ الفعل المتضمن في القول+ الفعل الناتج عن القول.

توصل أوستين إلى تقسيم الأقوال إلى تقريرية وصفية وإنشائية:

النوع الأول:(الأقوال التقريرية): ويتمثل في تلك الأقوال التي تصف حالا معينا لشيء أو لشخص، ويسميها الأفعال التقريرية، وقد سماها العرب بالأساليب الخبرية. وهي أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته. بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب يسمى كلاما خبريا، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع.

النوع الثاني:(الأقوال الإنشائية): فهي لا تصف وتخبر، ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب.

إن ميزتها الأساسية تكمن في أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع كأن تقول:

1- أعلن الجلسة مفتوحة.

2- أتحداك على صعود الجبل.

3- آمرك بفتح الباب.

يميز أوستين بين نوعين من الأقوال الإنشائية:

أ- **أقوال صريحة(مباشرة):** تكون فيها بنية القول اللغوية شاملة للعناصر الدالة على الإنشاء، وتسمى الأقوال الإنشائية الصريحة، وهي تتحقق بإسناد الفعل الدال على الزمن الحاضر إلى ضمير المتكلم المفرد.

مثال: 1- الفعل" اقرأ" الذي أمر به جبريل الرسول الكريم عليه السلام وهو في غار حراء، إذ يشكل هذا الفعل دعوة للمسلمين للقراءة بجميع معانيها والبحث والغوص في شتى أنواع العلوم والمعارف، وكان لهذا الفعل الكلامي الفضل في إخراج العرب من غياهب الجهل إلى أنوار العلم والمعرفة.

مثال: 2- بالعودة إلى الفقه الإسلامي في ركنه الخاص بالمعاملات هو صياغة للأفعال الكلامية، ومن ذلك مثلا" البيع" الذي يشترط لتحققه وتمامه أفعالا كلامية مباشرة بين البائع والمشتري. كقول البائع مثلا:(بعت) أو(أعطيت) أو(هو لك). وكقول المشتري: (اشتريت) أو(أخذت) أو(رضيت).

ب- **أقوال غير المباشرة:** فتعرف بكونها غير صريحة ولا مباشرة، وتحقيق هذه الأفعال يتوقف على عوامل معينة من السياق اللغوي والحال أو وضعية التبليغ يسميها أوستن الأفعال الإنشائية الأولية للفعل الإنشائي الصريح، إن الفعل الأولي لـــ: آمرك بغلق الباب

هو أغلق الباب. وأحذرك من مخاطر الطريق هو حذر مخاطر الطريق. والصيغة اللغوية الدالة على هذه الأفعال هي صيغة الأمر

ومن جهة أخرى يقوم كل فعل كلامي على مفهوم مهم جدا هو **القصدية**. إذ يشترط **أوستن** عامل القصد والمقصود بذلك أن الفعل الذي بصدر عن شخص يرفض في قرارة نفسه دلالته يعتبر فعلا غير متحقق، فإذا قال شخص معزيا شخصا آخر:" إنا لله وإنا إليه راجعون" وهو لا يشعر بأي أسف نحو ذلك الشخص، فلا يكون فعل التعزية قد تحقق، لأن المتكلم قد يقصد أشياء أخرى وراء تلفظه بصيغة التعزية.

- تصنيف أوستن أفعال الكلام من حيث دلالتها:

قسم **أوستن** أفعال الكلام من حيث دلالتها إلى مجموعات وظيفية، لأنها كثيرة ويستحيل حصرها. وهي:

1- أ/ الأفعال الدالة على الحكم Actes verdictifs

وهي الأفعال التي تبت في بعض القضايا التي تتركز في سلطة معترف بها رسميا أو سلطة أخلاقية، ولا يشترط أن تكون إلزامية. فهي تدل على التعميم أو التقويم أو الملاحظة، وتشمل على سبيل المثال أفعال: التبرئة والحكم والتقدير والتحليل وإصدار مرسوم. وقد شبه **أوستين** فعل الحكم بالفعل القانوني المختلف عن الفعل التشريعي والتنفيذي الذي يدخل ضمن مجموعة أفعال الممارسة.[59]

ب/ التمثيل للأفعال الدالة على الحكم من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

(راجيا منكم....)،(أتشرف...)،(أعتذر عن...)،(يشرفني...). فالمتكلم في هذه الأسئلة السابقة يأمر بأشياء لكن باحترام وتقدير للمتلقي.

2- أ/ أفعال الممارسة" Actes exercitifis"

هي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها القوة في فرض واقع جديد مثل الانتخاب، التعيين الرسمي، الاستشارة، وهو تحكيم أكثر منه تقدير، وقرار أكثر منه

ب/ التمثيل لأفعال الممارسة من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

1- **الإعلان:**(وأعلنت)(بلاغ)(أعلنت مصادر)(أعلن رئيس النادي الإفريقي...)(أفادت).

2- **الإعلام:**(تعلم مصادر).

3- أ/ أفعال الوعد Actes promessifs

هي أفعال الكلام التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل معترف به من قبل المخاطب. إن المتكلم يتفوه بكلام يؤسس به وجوب القيام بمحتوى قوله، ويحمل المخاطب على الاعتراف بهذه الإلزامية مثل: القسم، الرهان، التعهد، الضمان.

ب/ التمثيل لأفعال السلوك من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

1- **أفعال الوعد:**(وعد....)،(سنكون بالمرصاد...).

2- **أفعال التعهد:**(تتعهد...)،(أتعهد بشرفي....)،(يلتزم....).

3- **أفعال القسم:**(أقسم...)،(لعمري...).

5- أ/ أفعال العرض: Actes expositifs

وهي أفعال تدخل في علاقة ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الحجاج

ب/ التمثيل لأفعال العرض من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

1- **الإثبات:** وهو الأكثر ورودا في الخطاب الصحفي. ومن أمثلة ذلك:

(توقع أن)(فعلا نحن)(تتمثل في)(حرص على).

2- **النهي:**(لا تسعى)

3- **النداء:**(يا أخي)

4- **التأكيد:**(وقد رأينا)(أكد).

5- **النفي:**(نفى....)(لا نستغرب).

وعلى العموم، فإن ما طرحه "أوستين" بخصوص أفعال الكلام، فتح نقاشا واسعا انخرطت فيه ثلّة من الباحثين، أمثال: "سيرل"، "غرايس"، و"فان إيمرن" (van Imiron) وغيرهم، مما عمّق نظرية "أوستين" وجعلها أكثر اتساعا واستيعابا لجملة من القضايا المرتبطة بتداوليات أفعال الكلام، وخاصة مفهوم القصدية

إن دراسة وتصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية كان بفضل ما أوتيه من جهاز مفاهيمي ثري، أكثر دقة وعمقا مما ورثه عن سلفه "ج.ل.أوستين" الذي يعود إليه فضل اكتشاف الظاهرة وعزلها وتحديد إطارها العام كظاهرة خطابية عامة.

وسوف نتعرض إلى أهم الأفكار التي بسطها "سيرل "بخصوص هذا الأمر، والمتمثلة فيما يلي:

1)- ارتباط اللغة بالأفعال اللسانية، ذلك أن التكلم بلغة ما يعني تحقيق أفعال لغوية ممكنة في ظلّ قواعد تعمل على استخدام العناصر اللغوية، وطبقا لهذه القواعد تتحقق الأفعال اللغوية.

2)- قاعدة التواصل اللغوي مبنية على الفعل اللغوي، فكل تواصل لغوي، لا ينبني على الرمز، أو على اللفظ، أو على الجملة، وليس هو تواتر هذه العناصر، بل التواصل أداء للرمز واللفظ والجملة، أو بثها (Emission) لحظة تحقيق فعل لغوي معين.

3)- ارتباط نظرية اللغة بنظرية الفعل، ذلك أن اللغة جزء من نظرية الفعل (Théorie de l'action)، لأن التحدث عبارة عن سلوك خاضع للقواعد، وبالتالي يمتلك سمات صورية (Trait formels) خاصة تتعلق بدراسة مستقلة.

4)- ارتباط نظرية أفعال اللغة بنظرية المجال الدلالي، إذ لا يمكن التسليم بوجود دراستين دلاليتين مختلفتين، إحداهما تدرس الجمل ودلالاتها، والثانية تدرس إنتاج أفعال اللغة، وعليه فإن فعل اللغة عبارة عن تابع (Fonction) لدلالة الجملة المعينة،

فلا تسمح دلالة جملة ما بأي فصل لغوي محقق، داخل تلفظ هذه الجملة لأن المتكلم قد يريد قول شيء آخر لم يقله بالفعل، ومع ذلك يمكن له مبدئيا أن يقول ما ينوي إبلاغه.

5)- عدم استقلال معنى الجمل دلاليا عن معنى أفعال اللغة تداوليا، فدراسة الجمل لا تتميز مبدئيا عن دراسة أفعال اللغة، وإذا أدركنا هذا الأمر فإن الدراسة تبقى واحدة، وبما أن كل جملة تحمل معنى محددا، فإنه لا يمكن أن تستعمل بدلالتها نفسها لإنجاز سلسلة من الأفعال اللغوية الخاصة، ولهذا فإن دراسة دلالة الجمل، ودراسة أفعال اللغة لا يشكلان مجالين مستقلين، بل مجالا واحدا.

إن سيرل غيّر في تصنيف الأفعال الإنجازية ، فجعلها كالتالي:

أ. **الإخباريات** ، والغرض الإنجازي لها وصف واقعة معينة من خلال قضية ، وهي تحتمل الصدق والكذب

ب. **التوجيهات** ، وإنجازيتها تتمثل في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل معين...

ت. **الالتزاميات** ، وإنجازيتها تتمثل في التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل...

ث. **التعبيريات** ، وإنجازيتها تتمثل في التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه الإخلاص...

ج. **الإعلانيات** ، وهي ما يطابق محتواها القضوي الواقع ، وتحدث تغييراً في الوضع القائم ...

الهوامش

1. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص41.
2. المرجع السابق، ص42.
3. مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، 2004م، ص199.
4. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م، ص50.
5. أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44.

تطبيـــــــق: حلّل القصيدة،وطبّق عليها نظرية أفعال الكلام.

أبى الشاعر المصري محمود طه قبل وفاته بعام واحد، أن يقدّم شيئاً للقضية الفلسطينية لأنه من الشعراء الذين عاصروا الفترة التي احتل فيها الصهاينة فلسطين. فكتب في عام 1948 قصيدته **الشهيرة "فلسطين"** التي حاول من خلال أبياتها استنهاض روح ووجدان العرب لمساعدة الفلسطينيين لمقاومة الاحتلال.

أَخِي، جَاوَزَ الظَّالِمُونَ المَدَى ... فَحَقَّ الجِهَادُ، وَحَقَّ الفِدَا

أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ العُرُوبَةَ ... مَجْدَ الأُبُوَّةِ وَالسُّؤْدَدَا؟

وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَلِيلِ السُّيُوفِ ... يُجِيبُونَ صَوْتَاً لَنَا أَوْ صَدَى

فَجَرِّدْ حُسَامَكَ مِنْ غِمْدِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ، بَعْدُ، أَنْ يُغْمَدَا

أَخِي، أَيُّهَا العَرَبِيُّ الأَبِيُّ ... أَرَى اليَوْمَ مَوْعِدَنَا لاَ الغَدَا

أَخِي، أَقْبَلَ الشَّرْقُ فِي أُمَّةٍ ... تَرُدُّ الضَّلالَ وَتُحْيِي الهُدَى

أَخِي، إِنَّ فِي القُدْسِ أُخْتَاً لَنَا ... أَعَدَّ لَهَا الذَّابِحُونَ المُدَى

صَبَرْنَا عَلَى غَدْرِهِمْ قَادِرِينَ ... وَكُنَّا لَهُمْ قَدَرَاً مُرْصَدَا

طَلَعْنَا عَلَيْهِمْ طُلُوعَ المَنُونِ ... فَطَارُوا هَبَاءً، وَصَارُوا سُدَى

أَخِي، قُمْ إِلَى قِبْلَةِ المَشْرِقَيْنِ ... لِنَحْمِي الكَنِيسَةَ وَالمَسْجِدَا

يسوع الشهيد على ارضها ... يعانق، في جيشه، احمدا

أَخِي، قُمْ إِلَيْهَا نَشُقُّ الغِمَارَ ... دَمَاً قَانِيَاً وَلَظَىً مُرْعِدَا

أَخِي، ظَمِئَتْ لِلْقِتَالِ السُّيُوفُ ... فَأَوْرِدْ شَبَاهَا الدَّمَ المُصْعَدَا

أَخِي، إِنْ جَرَى فِي ثَرَاهَا دَمِي ... وَشَبَّ الضَّرَامُ بِهَا مُوقدَا

فَفَتِّشْ عَلَى مُهْجَةٍ حُرَّةٍ ... أَبَتْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا العِدَا

وَخُذْ رَايَةَ الحَقِّ مِنْ قَبْضَةٍ ... جَلاَهَا الوَغَى، وَنَمَاهَا النَّدَى

وَقَبِّلْ شَهِيداً عَلَى أَرْضِهَا ... دَعَا بِاسْمِهَا اللهَ وَاسْتَشْهَدَا

فَلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكِ الشَّبَابُ ... وَجَلَّ الفِدَائِيُّ وَالمُفْتَدَى

فَلَسْطِينُ تَحْمِيكِ مِنَّا الصُّدُورُ ... فَإِمَّا الحَيَاةُ وَإِمَّا الرَّدَى